



جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديداون - شرقية



المتشابه اللفظي في القرآن الكريم
دراسة لغوية في ضوء السياق
﴿فانفجرت﴾ ، ﴿فانبجست﴾ نموذجاً

إعداد

دكتور: محمد موسى السعيد جباره

أستاذ أصول اللغة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات،
جامعة الأزهر، فرع بورسعيد.

المؤتمر العلمي الدولي الأول

٢٠٢١م / ١٤٤٣هـ

المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، دراسة لغوية في ضوء السياق
(فَأَنْفَجَرَتْ)، (فَأَنْبَجَسَتْ) نموذجاً

محمد موسى السعيد جباره

أستاذ أصول اللغة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، فرع بورسعيد. جامعة الأزهر

المدينة: بورسعيد الدولة: جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: MohammedGobara1958.el@azhar.edu.eg

ملخص الدراسة:

لما كان المتشابه اللفظي يُوهم عدم الفرق بين اللفظتين، ومن ثمَّ يُوهم إمكانية وَضْع إحداهما مكان الأخرى، رأيت أنه من الواجب عليّ بحث هذه المسألة؛ لأن إمكانية وضع إحدى اللفظتين مكان الأخرى في كلام البشر، لا ينطبق على كلام رب البشر سبحانه وتعالى. ولكي يكون هذا الحكم مؤسساً على دراسة علمية، ومبنيّاً على جانب تطبيقيّ، كان هذا البحث، فوقف مع وَجْهِ من وَجْوه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وهو: اختيار اللفظ المناسب للسياق، واختار ميدان المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، مع التطبيق على نموذج واحد مراعاة للمقام. وقد اعتمدتُ في هذا البحث على توفيق الله - عز وجل - أوّلاً، ثم على أقوال اللغويين والمفسرين قدامى ومُحدّثين.

فوقفت - أوّلاً - مع معنى لفظتي: ﴿فَأَنْفَجَرَتْ﴾ و﴿فَأَنْبَجَسَتْ﴾، ثم تحدثت عن العلاقة بينهما، ثم وقفت مع السياق الذي وردت فيه كل لفظة منها، والحكمة من اختيار كل لفظة منها في موطنها الذي وَرَدَتْ فيه.

الكلمات المفتاحية:

القرآن - الدلالة - المتشابه اللفظي - السياق.

A Context-based Linguistic Study of Meaningfully Similar Words in the Ever-Glorious Qur'an: The Two Words of /infajarat/ 'gushed out' (Qur'an ٢: ٦٠) and /inbajasat/ 'squirted' (Qur'an ٧: ١٦٠) as a Model.

Muhammad Musa Al-Saeed Gobara

Professor of Linguistics and Philology, Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls in Port Said, Al-Azhar University

City: port said country: Arab Republic of Egypt

Email: MohammedGobara١٩٥٨.el@azhar.edu.eg

Abstract

Having been aware of the fact that meaningfully similar words may imply that there is no semantic difference between each pair of these words and that they can be used interchangeably, the present researcher found that it is imperative that he discuss this issue in more detail. The present study is based on the premise that placing one meaningfully similar word instead of its counterpart in human speech cannot hold true for the word of the Almighty God, Glory be to Him, in the Qur'an. For this argument to be based on a scientific and an empirical study, this research dwells on one of the linguistically miraculous aspects of the Ever-Glorious Qur'an, namely selecting the meaningfully similar word which is the most appropriate for the context. It focuses on the fine area of the meaningfully similar words in the Ever-Glorious Qur'an and it concerns itself in its practical part with only one pair of these words, namely /infajarat/ 'gushed out' and /inbajasat/ 'squirted'. The former is mentioned once in the Qur'an in the verse (٢: ٦٠) and the latter is also mentioned once in the verse (٧: ١٦٠). Having sought the support and guidance of the Almighty God, I drew on the views of some traditional and modern linguists and Qur'an exegetes. The present paper explores the meaning of the two words under discussion, i.e. /infajarat/ 'gushed out' and /inbajasat/ 'squirted'; it examines the relationship between this pair of words; it dwells on the context in which each word is mentioned; it accounts for the rationale behind selecting each word in its own context-specific position.

Keywords: The Qur'an - Semantics – word form - meaningfully similar words – context.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ..

فإن الله - عز وجل - أخبرنا بأن القرآن الكريم ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وبأنه: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، وأنه: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٨٠، الحاقة: ٤٣]، ولما كان القرآن الكريم كلام الله فقد وصفه الله تعالى بالعزّة، وأن الباطل لا يعرف طريقاً إليه، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]، قال أبو حيان: (وَعَزَّتْهُ كَوْنُهُ عَدِيمَ النَّظِيرِ لِمَا احْتَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْإِعْجَازِ الَّذِي لَا يُوجَدُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ... وقيل: وَصَفَ بِالْعِزَّةِ لِأَنَّهُ لِصِحَّةِ مَعَانِيهِ مُتَمَتِّعٌ الطَّعْنُ فِيهِ وَالْإِزْرَاءُ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَحْفُوظٌ مِنَ اللَّهِ). (١)

ولما كان المتشابه اللفظي يُوهم عدم الفرق بين اللفظتين، ومن ثمّ يوهم إمكانية وضع إحداها مكان الأخرى، رأيت أنه من الواجب عليّ بحث هذه المسألة؛ لأن إمكانية وضع إحدى اللفظتين مكان الأخرى في كلام البشر، لا ينطبق على كلام رب البشر سبحانه وتعالى.

ولكي يكون هذا الحكم مؤسساً على دراسة علمية، ومبنيّاً على جانب تطبيقيّ، كان هذا البحث، فوقف مع وجه من وجوه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وهو: اختيار اللفظ المناسب للسياق، واختار ميدان المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، مع التطبيق على نموذج واحد مراعاة للمقام.

وقد اعتمدت في هذا البحث على توفيق الله - عز وجل - أولاً، ثم على أقوال اللغويين والمفسرين قدامى ومحدثين.

(١) البحر المحيط، لأبي حيان ٩/ ٣١٠، ٣١١، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

فوقفت - أولاً - مع معنى لفظتي: ﴿فَأَنْفَجَرْتُ﴾ و﴿فَأَنْبَجَسْتُ﴾، ثم تحدثت عن العلاقة بينهما، ثم وقفت مع السياق الذي وردت فيه كل لفظة منهما، والحكمة من اختيار كل لفظة منهما في موطنها الذي وَرَدَتْ فيه.

والله أسأل أن أكون وُفِّقْتُ فيما أردتُ، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين

تعريف التشابه اللفظي:

أولاً: في اللغة:

(الشَّبَهُ والشَّبَهُ والشَّبِيَّةُ: المِثْلُ. والجمع: أشباهٌ. وَأَشْبَهُ الشَّيْءِ الشَّيْءَ: مائِلُهُ ... وَتَشَابَهَ الشَّيْئَانِ وَاشْتَبَهَا: أَشْبَهَ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ ... وَالمُتَشَابِهَاتُ: المِثْمَالَاتُ). (١)

وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): (الشين والباء والهاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تشابه الشيء وتشاكله لوتاً ووصفاً. يُقال: شِبَهُ وشَبَهُ وشَبِيهٌ). (٢)

وذهب الدكتور/ جبل (ت ١٤٣٦هـ) إلى أن المعنى المحوري للتركيب (مقاربةٌ في الشَّكْلِ والملاحح الظاهرية بين شيءٍ وآخر) (٣)، وذهب إلى أن التعبير بالمماثلة في قولهم: الشَّبَهُ، والشَّبَهُ، والشَّبِيه، معناه: المِثْلُ، فيه تجاوزٌ، والمقصود: التقاربُ الشَّدِيدُ في الملاحح والسَّمات الظاهرية فيها فحسب. (٤)

ثانياً: في الاصطلاح:

عرفه الإمام الزركشي (ت ٧٩٤هـ) بأنه: (إيراد القصة الواحدة في صُورٍ شَتَّى، وفواصلٍ مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء) (٥)

(١) لسان العرب، لابن منظور ٥٠٣/١٣ (ش ب هـ)، ٣، ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت، وينظر: تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري ٢٢٣٦/٦ (ش ب هـ)، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت.

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس ٢٤٣/٣ (ش ب هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ١، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، الناشر: دار الفكر

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن جبل ١١٠٢/٢ (ش ب هـ)، ط ١، ٢٠١٠م، مكتبة الآداب، القاهرة.

(٤) ينظر: السابق نفسه ١١٠٢/٢ (ش ب هـ).

(٥) البرهان في علوم القرآن، للزركشي ١/١٢٢ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث - القاهرة.

وذكر الزركشي أن القسم السابع من أقسام المتشابه باعتبار الأفراد: إبدال كلمة بأخرى، وذكر عددًا من أمثلة هذا النوع، منها: قوله تعالى في سورة البقرة [٦٠]: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾، وقال تعالى في سورة الأعراف [١٦٠]: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾. (١) حِكْمَتُهُ:

ذكر الإمام الزركشي أن الحكمة من وجود المتشابه اللفظي في القرآن الكريم تتمثل في: (التصريف في الكلام وإتيانه على ضروب؛ ليُعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك). (٢)

وعلى ذلك فوجود المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دليل على إعجازه، حيث يعجز البشر عن التصريف في كلامهم على هذا النحو، ولعل الله - عز وجل - (كَرَّرَ القصة الواحدة، والقَصَصَ المتماثلة، والمعنى الواحد بالفاظ مختلفة من بحرٍ واحد، وعلى وزنٍ واحد هو وزنُ القرآن الخارج عن جميع النظم والأوزان؛ ليُعلمهم اقتداره، وعِظَمَ البلاغة في كلامه، ويُعرفهم عَجْزَهُم عن ذلك، ويقطعَ به شَعْنَهُم وشُبُهَهُم). (٣)

وها نحن نقف مع لفظتي: (انْفَجَرَتْ) و (انْبَجَسَتْ) لنبين شيئًا من بلاغة القرآن في إيراد ما يُعرف باسم المتشابه اللفظي.

(١) ينظر: البرهان ١ / ١٣٠.

(٢) البرهان ١ / ١١٢.

(٣) الانتصار للقرآن، للباقلاني ٢ / ٨٠٣، تحقيق الدكتور/ محمد عصام القضاة، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، دار الفتح

للنشر والتوزيع، عمان، الأردن - دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(انْفَجَرَتْ / انْبَجَسَتْ)

قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: ١٦٠]

يخبر تعالى عن نعمة من نِعْمِهِ الجليلة على بني إسرائيل، والتي تتمثل في إجابته لسيدنا موسى - عليه السلام - حين استسقى لقومه، فَيَسَّرَ اللهُ لهم الماء، وأخرجه لهم من حَجَرٍ يُحْمَلُ معهم، وفَجَّرَ منه اثنتي عشرة عينا، لكل سبط من أسباطهم عَيْنٌ قد عرفوها، فالله - عز وجل - أَنْبَعَ لهم الماء بلا سَعْيٍ منهم ولا كَدٍّ، فعليهم أن يعبدوا الله الذي أَنْعَمَ عليهم بذلك، ولا يُقَابِلُوا النِّعَمَ بالعصيان فَيَسْلُبُوهَا. (١)

وعبر الله - عز وجل - عن إنباع الماء من الحَجَرِ بلفظين، أحدهما: ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾، وثانيهما: ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾.

والسؤال المتبادر إلى الذهن هنا: هل هما بمعنى واحد؟ أم أن بينهما فرقا؟ وسواء أكانا بمعنى واحد أم كان بينهما فرق، ما الحكمة من مجيء كُلِّ منهما في السياق الذي ورد فيه؟ وللإجابة عن ذلك نقول:

أولا: المعنى اللغوي لكل من اللفظين:

• ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾:

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١/ ٢٧٨، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م،

الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.

قال الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ): (والفَجْرُ: تَفْجِيرُكَ المَاءِ. والمَفْجَرُ: المَوْضِعُ الذي يَنْفَجِرُ منه المَاءُ). (١)
يؤخذ مما سبق أن التركيب (فجر) فيه معنى القوة والشدة، وبهذه القوة وتلك الشدة يستطيع
الماء أن يشق السدّ الذي يعترضه، ويمضي في طريقه؛ حيث يكون الماء مندفعاً بقوة، لذا قال
الأزهري (ت ٣٧٠هـ): (والفَجْرُ، أصله: الشَّقُّ، وَمِنْهُ أُخِذَ فَجْرُ السُّكَّرِ، وهو: بَثْقُهُ. وَسُمِّيَ الفَجْرُ
فَجْرًا: لَانْفِجَارِهِ، وَهُوَ: أَنْصِدَاعُ الظَّلْمَةِ عَن نُّورِ الصُّبْحِ). (٢)

وهذه القوة من شأنها أن تجعل الشقّ الذي يُحدثه الماء واسعاً، قال أبو هلال العسكري
(ت ٣٩٥هـ): (لا يُقَالُ لِمَنْ حَرَقَ فِي السُّكَّرِ حَرَقًا صَغِيرًا أَنَّهُ: قد فَجَرَ السُّكَّرَ). (٣)
وفي التركيب -كذلك- معنى الكثرة والسعة، نَقَلَ ثَعْلَبُ (ت ٢٩١هـ) عن ابن الأعرابي
(٢٣١هـ) قوله: (أَفْجَرَ الرَّجُلُ: إِذَا جَاءَ بِالفَجْرِ، وهو المال الكثير). (٤).

وقال ابن سيده (ت ٤٥٨هـ): (والفَجْرُ: كَثْرَةُ المَالِ وَسَعَتُهُ، قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيُّ (البيسط):
فَقَدْ أَجُودُ وَمَا مَالِي بِذِي فَجْرٍ وَأَكْتُمُ السِّرَّ فِيهِ صَرْبُهُ العُنُقِ... والفَجْرُ: المَالُ، عَن كِرَاعٍ). (١)

(١) العين، للخليل بن أحمد ١١١/٦ (ف ج ر)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط ١، ١٤٠٨هـ
١٨٨م، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان. وينظر: تهذيب اللغة، للأزهري ٤٨/١١، تحقيق: محمد أبو الفضل
إبراهيم، ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، لسان العرب، لابن منظور ٤٥/٥، تاج العروس، من جواهر
القاموس، للزبيدي ٢٩٩/١٣ (ف ج ر)، تحقيق/ عبد الستار أحمد فراج، وآخرين، ط، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م،
الكويت.

(٢) تهذيب اللغة، للأزهري ٥٠/١١ (ف ج ر).

(٣) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ص ٢٣١، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة،
القاهرة. وقال ابن منظور: (وسَكِرَ النَّهْرُ يَسْكُرُهُ سَكْرًا: سَدَّ فَاؤُهُ. وَكُلُّ شَقٍّ سُدٌّ، فَقَدْ سَكِرَ، وَالسُّكْرُ: مَا سُدَّ بِهِ.
وَالسُّكْرُ: سُدُّ الشَّقِّ وَمُنْفَجِرُ المَاءِ، وَالسُّكْرُ: اسْمُ ذَلِكَ السُّدَادِ الذي يُجْعَلُ سُدًّا للشَّقِّ ونحوه). لسان العرب
٣٧٥/٤ (س ك ر).

(٤) تهذيب اللغة، للأزهري ٤٩/١١ (ف ج ر). وينظر: لسان العرب ٤٦/٥، تاج العروس ٣٠٢/١٣ (ف ج ر)،
الأفعال، لابن القطاع ٤٦٠/٢ (ف ج ر)، ط ١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، عالم الكتب.

ولعل هذا المعنى هو الذي دعاهم إلى قولهم: (والفَجْر: العطاء والكرم والجود والمعروف، قال أبو ذؤيب (المتقارب):

مَطَاعِيمٌ لِلصَّيْفِ حِينَ الشِّتَا ۚ شُمُّ الأَنْوْفِ كَثِيرٌ وَالفَجْرُ
وَقَدْ تَفَجَّرَ بِالكَرَمِ، وَأَنْفَجَرَ). (١)

وقالوا: (وَرَجُلٌ ذُو فَجْرٍ إِذَا كَانَ يَتَفَجَّرُ بِالحَيْرِ، قَالَ الشَّاعِرُ: (الطويل):

وَذُو فَجْرٍ فِي القَوْمِ غَيْرُ حَقْلِدٍ). (٢)

ومن المجاز -أيضاً- قولهم: (وَأَنْفَجَرَ عَلَيْهِمُ القَوْمُ. وَأَنْفَجَرَتْ عَلَيْهِمُ الدَّوَاهِي: إِذَا جَاءَهُمُ الكَثِيرُ مِنْهَا بَعْتَةً). (٤)

(١) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده ٢٧٦/٧ (ف ج ر)، تحقيق/ د. عبد الحميد هندراوي، ط ١٤٢١، ١هـ ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. وينظر: لسان العرب ٤٦/٥، تاج العروس ٣٠٠/١٣ (ف ج ر). وبيت أبي محجن في ديوانه، ص ٦، ٧، مطبعة الأزهار البارونية، مصر. والرواية هناك:

وَأَكْسِفُ المَأْزِقَ المَكْرُوبَ غَمَّتَهُ وَأَكْتُمُ السِّرَّ فِيهِ صَرْبَةُ العُنُقِ
وَقَدْ أَجُودُ وَمَا مَالِي بِذِي فَنَعٍ وَقَدْ أَكْرُهُ وَرَاءَ المُحْجِرِ التَّرِيقِ

وذكرت المعاجم الثلاثة رواية: (بِذِي فَنَعٍ). ينظر: المحكم ٢٧٦/٧ (ف ج ر)، ١٨٨/٢ (ف ن ع)، لسان العرب ٤٦/٥ (ف ج ر)، ٢٥٧/٨ (ف ن ع)، تاج العروس ٥١٤/٢١ (ف ن ع).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ٣٩٥/٧ (ف ج ر)، والبيت في: شرح أشعار الهذليين، للسكري ١١٨/١، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة المدني، القاهرة. والرواية في المحكم: (وَشُمُّ) والتصويب من الديوان. وينظر: الصحاح ٧٧٨/٢، أساس البلاغة، للزنجشري ١٨٦/٢ (ف ج ر)، ط ٣، ١٩٨٥م - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٣) جهرة اللغة، لابن دريد ٤٦٣/١ (ف ج ر)، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، ط ١، ١٩٨٧م، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت. وقال المحقق: الحَقْلِدُ: البخيل. وينظر: الصحاح ٧٧٨/٢، أساس البلاغة ١٨٦/٢، لسان العرب ٤٥/٥، تاج العروس ٢٩٩/١٣ (ف ج ر).

(٤) العين، للخليل بن أحمد ١١١/٦ (ف ج ر)، وينظر: تهذيب اللغة، للأزهري ٤٨/١١، المحكم ٣٩٥/٧.

ولمعنى الاتساع والكثرة، قالوا للمُنْبَعث في المعاصي، المسترسل فيها: فَاجِرٌ^(١)، وهذا الاستعمال نشأ من التطور الدلالي، قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): (أَنْفَجَرَ الْمَاءُ أَنْفَجَارًا: تَفَتَّحَ. وَالْفُجْرَةُ: مَوْضِعٌ تَفْتُحُ الْمَاءُ. ثُمَّ كَثُرَ هَذَا حَتَّى صَارَ الْأَنْبِعَاثُ وَالتَّفَتُّحُ فِي الْمَعَاصِي فُجُورًا).^(٢)

ومن مشتقات التركيب الدالة على الاتساع والكثرة، قولهم: (المَفْجَرَةُ: أَرْضٌ تَطْمِئُنُ فَتَنْفَجِرُ فِيهَا أَوْدِيَةٌ. وَفُجْرَةُ الْوَادِي وَتُجْرَتُهُ: الْمَتَّسِعُ مِنْهُ).^(٣)

وقولهم: (مَفَاجِرُ الْوَادِي: مَرَايِضُهُ حَيْثُ يَرْفُضُ إِلَيْهِ السَّيْلُ. وَمُنْفَجِرُ الرَّمْلِ: طَرِيقٌ يَكُونُ فِيهِ).^(٤)

وذهب ابن فارس إلى أن (الفاء والجيم والراء أصل واحد، وهو التَّفَتُّحُ فِي الشَّيْءِ).^(٥)

وذهب الدكتور جبل (ت ١٤٣٦هـ) إلى أن المعنى المحوري لتركيب: (فجر) هو: (أَنْبِثَاقُ الْمَائِعِ الْمَحْتَبَسِ بَانْدِفَاعٍ وَغَزَارَةٍ فَائِحًا فُرْجَةً فِي مَحْبَسِهِ).^(٦)

(١) ينظر: الجمهرة ١/٤٦٣، لسان العرب ٥/٤٦، تاج العروس ١٣/٢٩٩، ٣٠٠ (ف ج ر).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس ٤/٤٧٥ (ف ج ر).

(٣) جمهرة اللغة ١/٤٦٣ (ف ج ر)، وينظر: المحكم ٧/٣٩٥، تاج العروس ١٣/٢٩٩ (ف ج ر).

(٤) الصحاح ٢/٧٧٨ (ف ج ر)، وينظر: أساس البلاغة ٢/١٨٦، لسان العرب ٥/٤٥، تاج العروس ١٣/٢٩٩ (ف ج ر).

(٥) المقاييس ٤/٤٧٥ (ف ج ر).

(٦) المعجم الاشتقاقى المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ٣/١٦٣٥ (ف ج ر).

• ﴿فَانْبَجَسْتُ﴾:

قال الخليل: (البَجَسُ: انْشِقَاقٌ فِي قَرْبَةِ أَوْ حَجَرٍ أَوْ أَرْضٍ يَنْبَعُ مِنْهُ الْمَاءُ، فَإِنْ كَمْ يَنْبَعُ فَلَيْسَ بِأَنْبِجَاسٍ). (١)

فالبَجَسُ انشقاق في شيء، يَتَّبِعُ عَنْهُ نَبْعُ الْمَاءِ؛ لَذَا قَالُوا: (بَجَسْتُ الْمَاءَ فَاَنْبَجَسَ، أَي: فَجَرْتُهُ فَاَنْفَجَرَ). (٢)

وقالوا: (وَالسَّحَابُ يَتَّبَعُ بِالْمَطَرِ، وَالْإِنْجَاسُ عَامٌّ، وَالنُّبُوعُ لِلْعَيْنِ خَاصَّةً). (٣)
ولما كان الانْبِجَاسُ عَامًّا قَالَ ابْنُ الْقَطَّاعِ (ت ٥١٥هـ): (وَبَجَسَ الشَّيْءُ بَجَسًا: فَجَرَهُ، وَأَيْضًا: سَقَّهُ وَأَجْرَاهُ). (٤)

ويحمل التركيب معنى الكثرة والسيلان، قال ابن دريد (ت ٣٢١هـ): (وَمَاءٌ بَجِيسٌ، أَي: كَثِيرٌ. قَالَ الْعَجَّاجُ (رَجَزًا):

وفاضت العينُ بهاءً بَجَسِ
مَاءٍ تُشَاصِي هَاجَ بَعْدَ الْيَاسِ). (٥)

(١) العين ٥٨/٦ (ب ج س)، والنص في الأصل: (بانجباس)، والتصويب من: تهذيب اللغة ٣١٦/١٠، المقاييس

١٩٩/١، المحكم ٢٨٠/٧، لسان العرب ٢٤/٦، تاج العروس ٤٣٦/١٥ (ب ج س).

(٢) الصحاح ٩٠٧/٣ (ب ج س)، وينظر: أساس البلاغة ٣١/١، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم،

لنشوان الحميري ٤٣٤/١، تحقيق: د/ حسين بن عبد الله العمري، وآخرين، ط ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، دار الفكر

المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، لسان العرب ٢٤/٦، تاج العروس ٤٣٦/١٥ (ب ج

س).

(٣) العين ٥٨/٦ (ب ج س)، وينظر: التهذيب ٣١٦/١٠، المقاييس ١٩٩/١، لسان العرب ٢٤/٦، تاج العروس

٤٣٦/١٥، ٤٣٧ (ب ج س).

(٤) الأفعال، لابن القطاع ٨٣/١ (ب ج س).

وقال أبو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦هـ): (البَجِيسُ: الغزيرة؛ وقال (الكامل):

خُلِقَتْ عَلَى عُسْبٍ وَتَمَّ ذِكَاؤُهَا وَأَحَالَ فِيهَا الصَّنْعُ غَيْرَ بَجِيسٍ).^(٢)

وقال الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ): (البَجِيسُ: العَيْنُ الغَزِيرَةُ).^(٣)، وقيل: (ماءٌ بَجِيسٌ: سائل، عن

كِرَاع)^(٤)، وسيلان الماء دليل على كثرته.

ومعنى الكثرة والسيلان ثابتان - أيضًا - في قول ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ): (ويقال: جاءنا

بَثْرِيْدَةً تَصَاغَى تَصَاغِيًا. وذلك من كَثْرَةِ الدَّسَمِ. وَأَتَانَا بِبَثْرِيْدٍ يَتَبَجَّسُ)^(٥)، إذ لولا كثرة الدَّسَمِ في

البَثْرِيْدِ ما تَبَجَّسَ، أي: ما سأل منه شيءٌ.

(١) جهرة اللغة ١/ ٢٧٦ (ب ج س). ورجز العجاج في ديوانه، ص ٤١٥، تحقيق / د. عزة حسن، دار الشرق العربي،

بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م. والرواية هناك: (فثارت العين) بدلًا من: (وفاضت العين).

(٢) الجيم، لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦هـ) ١/ ٨٩، تحقيق: إبراهيم الإياري، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع

الأميرية، القاهرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م. والبيت لم أعثر على قائله، وهو بيت مفرد، لم يَرَوْه سوى أبي عمرو

الشيباني، ونقله عنه الدكتور إميل يعقوب، في: المعجم المفصل في شواهد العربية ٤/ ٩٨، ط ١، ١٤١٧هـ -

١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ولعل الشاعر يصف بثرًا أساء صاحبها صنْعَهَا فصارت غير

غزيرة. والعُسْبُ: جمع عَسِيب، وهي: جَرِيْدَةٌ مِنَ النَّخْلِ مُسْتَقِيْمَةٌ، دَقِيْقَةٌ يَكْشِطُ خَوْصَهَا). لسان العرب ١/

٥٩٩ (ع س ب). أو: لعله يصف بُيُوتَ نَحْلِ صُنِعَتْ عَلَى شُقُوقِ الجبال. قال ابن منظور: (والعَسْبَةُ والعَسِيبَةُ

والعَسِيبُ: شَقٌّ يَكُونُ فِي الجبل. قَالَ المُسَيَّبُ بْنُ عَلسٍ، وَذَكَرَ العَايِلُ، وَأَنَّهُ صَبَّ العَسَلِ فِي طَرْفِ هَذَا العَسِيبِ،

إِلَى صَاحِبٍ لَهُ دُونَهُ، فَتَقَبَّلَهُ مِنْهُ: فَهَرَأَقَ فِي طَرْفِ العَسِيبِ إِلَى مُتَقَبِّلٍ لِنَوَاطِفِ صُفْرِ). لسان العرب ١/ ٥٩٩ (ع

س ب). وقال - أيضًا - : (وأصل الذِّكَاةِ فِي اللُّغَةِ كُلُّهَا: إِتْمَامُ الشَّيْءِ، فَمِنْ ذَلِكَ: الذِّكَاةُ فِي السَّنِّ والفَهْمُ، وهو

تَمَامُ السَّنِّ). لسان العرب ١٤/ ٢٨٨ (ذ ك ا).

(٣) تاج العروس ١٥/ ٤٣٦ (ب ج س).

(٤) المحكم ٧/ ٢٨٠ (ب ج س)، وينظر: لسان العرب ٦/ ٢٤، تاج العروس ١٥/ ٤٣٧ (ب ج س).

(٥) الألفاظ، لابن السكيت، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ص ٤٧٨، ط ١، ١٩٩٠م، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت،

لبنان. وقال المحقق: تَصَاغَى: تُصَوِّتُ. وينظر: المقاييس ١/ ١٩٩، المحكم ٧/ ٢٨٠، أساس البلاغة ١/ ٣١،

لسان العرب ٦/ ٢٤، تاج العروس ١٥/ ٤٣٧ (ب ج س).

وذهب ابن فارس إلى أن (الباء والجيم والسين: تَفْتَحُ الشَّيْءَ بالماء خاصّة). (١)
ولعل ما ذهب إليه ابن فارس من تَقْيِيدِ التَّفْتِيحِ - هنا - بالماء دون غيره، هو الأصل، أما ما
ذكره ابن السكيت من تَبَجُّسِ الثَّرِيدِ بالدَّسَمِ فلعله على التشبيه، فالدَّسَمُ - لكثرتِه - يَسِيلُ من
الثَّرِيدِ، كما يسيل الماء.

وذهب الدكتور جبل إلى أن المعنى المحوري لتركيب (بجس) هو: تَفَجَّرُ سَائِلٍ بِقُوَّةٍ مِنْ شَيْءٍ
كثيفِ الجِرمِ: كالأرض، والقربة، والحجر). (٢)

ثانياً: العلاقة بين اللفظين:

إذا كان تركيب (فجر) يدل في أصل معناه على الشق، ويدل - كذلك - على السعة والكثرة، وتركيب
(بجس) يدل على الانشقاق، وعلى الكثرة والسيلان، فهل هما بمعنى واحد؟ أو أن بينهما فرقاً؟

الرأي الأول:

ذهب بعض العلماء إلى أنها بمعنى واحد، قال أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (١٤٠١هـ):
(يُقال: اُنْبَجَسَ وَتَبَجَّسَ، وَتَفَجَّرَ وَتَفْتَقَّ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ). (٣)، وقال أبو حيان (ت ٧٤٥هـ): (قيل:
هُمَا سَوَاءٌ، اُنْفَجَّرَ وَاُنْبَجَسَ وَاُنشَقَّ مُتَرادِفَاتٌ). (٤)

(١) المقييس ١/ ١٩٩ (ب ج س).

(٢) المعجم الاشتقاقي ١/ ٧٤ (ب ج س).

(٣) الغربيين في القرآن والحديث، لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي ١/ ١٤٣، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزدي، ط ١،
١٤١٩هـ-١٩٩٩م، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية. وينظر: الجامع لأحكام القرآن،
للقرطبي ١/ ٤١٩، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، دار الكتب المصرية، القاهرة،
اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل ٢/ ١٠٧، ٨/ ٣٧، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد
معوض، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،
للسمين الحلبي ٥/ ٤٨٨، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

(٤) البحر المحيط، لأبي حيان ١/ ٣٦٩، وينظر: التفسير البسيط، للواحدي ٩/ ٤٠٦، تحقيق د. محمد بن إبراهيم
الفايز، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية ١٤٣٠هـ، مفاتيح الغيب =

ورجح أبو حيان هذا الرأي، فقال: (وظاهرُ القرآن استيعابُهُما بمعنى واحد؛ لأنَّ الأيتين قصَّةٌ واحدةٌ). (١)

الرأي الثاني:

وذهب آخرون إلى أن بين اللفظين فرقاً، لكن اختلفت عبارتهم، فجاءت على النحو التالي:

- ذهب أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) إلى أن الفرق بين اللفظين يتمثل في أن: (أَنْبَجَسْتُ: عَرِقْتُ. وَأَنْفَجَرْتُ، أي: سَأَلْتُ). (٢)

وعبَّر أبو حيان عن هذا المذهب بقوله: (وقيل: الأَنْبِجَاسُ هو: الرَّشْحُ، والأَنْفِجَارُ هو: السَّيْلَانُ). (٣)

- وذهب بعضهم إلى أن (الأَنْبِجَاسُ هو: أوَّل خروج الماء، والأَنْفِجَارُ: اتِّسَاعُهُ وَكَثْرَتُهُ). (٤)

التفسير الكبير، للرازي، ١٥/٣٨٨، ط ٣، ١٤٢٠هـ الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، اللباب في علوم الكتاب ٢/ ١٠٧، ٨/ ٣٧، الدر المصون ١/ ٣٨٥، ٥/ ٤٨٧.

(١) البحر المحيط ١/ ٣٦٩.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي ١٢/ ٥٦١، تحقيق: مجموعة من الباحثين، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان وآخرين، ط ١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، الناشر: دار التفسير، جدة، المملكة العربية السعودية، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ١/ ١٠٠، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، وآخرين، ط ٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، البحر المحيط، ٥/ ١٩٣، الدر المصون ٥/ ٤٨٨، اللباب ٩/ ٣٥١، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني ١/ ٦٤، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥هـ.

(٣) البحر المحيط ١/ ٣٦٩.

(٤) البحر المحيط ١/ ٣٦٩، وينظر: مفاتيح الغيب ٣/ ٥٢٩، ١٥/ ٣٨٨، المحرر الوجيز، لابن عطية ١/ ١٥٢، ٢/ ٤٦٦، تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد، ط ١، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت. الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤١٩، اللباب ٢/ ١٠٧، الدر المصون ١/ ٣٨٥.

- (وقيل: الأَنْبِجَاسُ خُرُوجُهُ مِنَ الصُّلْبِ، وَالْأَنْفِجَارُ خُرُوجُهُ مِنَ اللَّيْنِ). (١)

لكن هذا القول الأخير ينقضه السياق، إذ التعبير القرآني عن الانفجار والانبجاس كان بخصوص نبع الماء من الحجر، قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: ١٦٠].

أما ما ذهب إليه أبو عمرو بن العلاء من أن: انْبَجَسَتْ، معناها: عَرِقَتْ. وانْفَجَرَتْ، معناها: سَأَلَتْ، فقولُ يوهم بأنَّ الأَنْبِجَاسَ معناه خروج الماء بقلَّة، قال الواحدي (ت ٤٦٨ هـ): (وَفَرَّقَ قَوْمٌ بَيْنَهُمَا، فَقَالُوا: الْأَنْبِجَاسُ: خُرُوجُ الْجَارِي بِقَلَّةٍ، وَالْأَنْفِجَارُ: خُرُوجُهُ بِكَثْرَةٍ، وَهَذَا يُرَوَىٰ عَنِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ). (٢)

ومع التسليم بأنَّ الانبجاس يختلف عن الانفجار فلعل عبارة ابن عطية (ت ٥٤٢ هـ) - عن قلَّة الماء في حالة الأَنْبِجَاسِ عنه في حالة الأَنْفِجَارِ - أكثر دِقَّةً، حيث قال: (والأَنْبِجَاسُ فِي الْمَاءِ أَقَلُّ مِنَ الْأَنْفِجَارِ) (٣)، وقال في موطن آخر: (الأَنْبِجَاسُ أَخْفُ مِنَ الْأَنْفِجَارِ). (٤)

فهي عبارة - في رأينا - لا تنفي كثرة السَّيْلَانِ مع الأَنْبِجَاسِ، هذه الكثرة التي وردت - كما سبق - في بعض استعمالات التركيب (بجس)، ولعلها كانت سبباً لتفسير بعض العلماء الأَنْبِجَاسَ بِالْأَنْفِجَارِ، قال الجوهري (ت ٤٠٠ هـ): (بَجَسْتُ الْمَاءَ فَانْبَجَسَ، أَي: فَجَرْتُهُ فَانْفَجَرَ). (٥)

(١) البحر المحيط ١/٣٦٩.

(٢) التفسير البسيط ٩/٤٠٦، ٤٠٧. وينظر: مفاتيح الغيب ٣/٥٢٩، ١٥/٣٨٨.

(٣) المحرر الوجيز ١/١٥٢.

(٤) المحرر الوجيز ١/١٥٢.

(٥) الصحاح ٣/٩٠٧ (ب ج س). وينظر: أساس البلاغة ١/٣١، شمس العلوم ١/٤٣٤، لسان العرب ٦/٢٤،

تاج العروس ١٥/٤٣٦ (ب ج س).

ولكن هذه الكثرة إذا قُورنت بكثرة السَّيلان مع الانفجار صارت قليلة، فهي قليلة بالنسبة للانفجار، وليست قليلة بإطلاق.

ولذا أرى أن القرطبي (ت ٦٧١هـ) كان موفِّقاً في التعبير عن الفرق بين الانبجاس والانفجار، حيث قال: (والانبجاس أَضْيُقُ مِنَ الانفجارِ؛ لأنَّهُ يكون انبجاساً ثمَّ يصيرُ انفجاراً). (١)

وهذا القول يوضح مذهب من فرقوا بين اللفظين بقولهم: (الانبجاس هو: أول خروج الماء، والانفجار: اتساعُهُ وَكَثْرَتُهُ). (٢)

وإذا كان كُلُّ مِنَ الانبجاس والانفجار ينتج عن شقِّ في شيءٍ ما (حَجَرٍ أو ما شابه) فإن ضيق هذا الشقِّ مع الانبجاس يكون سبباً في قلة الماء، إذا ما قُورن بكثرة الماء الجاري مع الانفجار بسبب اتساع الشقِّ معه.

وللراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) كلام قريب من هذا، حيث قال: (يُقَالُ: بَجَسَ الْمَاءُ وَانْبَجَسَ: انْفَجَرَ، لَكِنَّ الْاِنْبِجَاسَ أَكْثَرُ مَا يُقَالُ فِيهَا يَخْرُجُ مِنْ شَيْءٍ ضَيْقٍ، وَالْاِنْفِجَارُ يُسْتَعْمَلُ فِيهِ وَفِيهَا يَخْرُجُ مِنْ شَيْءٍ وَاسِعٍ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف/ ١٦٠]، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿فَإِنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة/ ٦٠]، فَاسْتَعْمَلَ حَيْثُ ضَاقَ الْمَخْرُجُ اللَّفْظَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا﴾ [الكهف/ ٣٣]، وَقَالَ: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر/ ١٢] وَلَمْ يَقُلْ: بَجَسْنَا). (٣)

(١) القرطبي ٤١٩/١. وينظر: الدر المصون ١/٣٨٥، اللباب ٢/١٠٧.

(٢) البحر المحيط ١/٣٦٩، وينظر: مفاتيح الغيب ٣/٥٢٩، ١٥/٣٨٨، المحرر الوجيز ١/١٥٢، ٢/٤٦٦، الجامع

لأحكام القرآن ١/٤١٩، اللباب ٢/١٠٧، الدر المصون ١/٣٨٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ١٠٨ (ب ج س)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط ١،

١٤١٢هـ الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت. وينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ،

وقال في مادة (ف ج ر): (الْفَجْرُ: شَقُّ الشَّيْءِ شَقًّا وَاسِعًا، كَفَجَرَ الْإِنْسَانَ السُّكْرَ) (١)؛ لذا قال السَّمِينُ الحَلْبِيُّ (ت ٧٥٦هـ): (المادة تدل على شَقُّ الشَّيْءِ وتوسعته، ومنه: الفَجْرُ؛ لأنه يَشُقُّ اللَّيْلَ شَقًّا وَاسِعًا). (٢)

وبالطبع أنا لا أقصد القول بأنَّ الانفجار والانبجاس المنصوص عليهما في القرآن الكريم نتجا عن شَقِّ في الحَجْرِ؛ فالله أعلم بكيفية حدوثها، لكنني أقصد الجانب اللغوي. وأرى أن القول بالترادف بين اللفظين قولٌ غيرٌ سديد، فكلُّ لفظٍ منهما يعطي معنى يتناسب مع السياق الذي وَرَدَ فيه، كما سيوضح ذلك في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى.

ثالثاً: الحكمة من مجيء كل منهما في سياقه:

لعله يمكن القول بأنَّ التعبير جاء في سورة الأعراف بقوله تعالى: ﴿فَأَنْبَجَسَتْ﴾؛ لأنَّ الآية الكريمة تتحدث هناك عن أنَّ قوم سيدنا موسى - عليه السلام - طلبوا منه السُّقْيَا، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: ١٦٠].

فالذين طَلَبُوا السُّقْيَا - في هذا السياق - هم قوم سيدنا موسى - عليه السلام - فجاء التعبير بالانْبِجَاس. بينما جاء التعبير في سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿فَأَنْفَجَرَتْ﴾، لأنَّ السياق هناك يَنْصُرُ على أنَّ الذي طلب السُّقْيَا هو سيدنا موسى - عليه السلام -، قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]، وَفَرَّقَ كبيرٌ بين أن يَطْلُبَ نَبِيُّ اللَّهِ من رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - السُّقْيَا، وبين أن يَطْلُبَهَا قَوْمٌ من نبيهم، أو بعبارة أخرى: فَرَّقَ

للسمين الحلبي ١/ ١٦٠ (ب ج س)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الناشر: دار الكتب العلمية.

(١) المفردات، ص ٦٢٥ (ف ج ر). وينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي ٤/ ١٧٥، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٢) عمدة الحفاظ ٣/ ٢٠٣ (ف ج ر).

كبيرٌ بين أن يطلب الإنسان شيئاً من رَبِّه، وبين أن يطلب الإنسان شيئاً من إنسان آخر حتى لو كان نبياً، فعندما تتوجّه إلى الله يكون العطاء الواسع، بلا حدّ.

ومن ناحية أخرى يمكن القول بأنّ هناك فرقاً كبيراً - بلا شكّ - بين طالبِ السُّقيا في كُلِّ من السِّيَاقين، فطالبُ السُّقيا في سياق سورة البقرة هو: سيدنا موسى - عليه السلام -، إنّه نبيُّ الله، إنّه كليمُ الله، إنّه أحدُ أولى العزم من الرُّسل، فجاء التعبير بالصيغة الدالّة على السّعة والكثرة، حيث قال تعالى: ﴿فَانفَجَرَتْ﴾.

أما طالبُ السُّقيا في سياق سورة الأعراف فهم قَوْمُ سيدنا موسى - عليه السلام - الذين قال الله عنهم في السِّيَاق السَّابِق مباشرة: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، فلم يكونوا جميعاً بهذه الصفة الطيّبة، فقد كان منهم مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ فَبَدَّلَ في كلمات الله، قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٢]؛ ولذا كان التعبير هنا بصيغة أخرى، وهي: ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾، وهي صيغة وإن كانت تدلّ - كما سبق - على نوعٍ من السّعة والكثرة، فإنّ دلالتها على السّعة والكثرة لا يمكن أبداً أن تُوازي الصيغة: ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ في دلالتها عليها، وعلى ذلك فكلُّ من الصيغتين جاءت في السياق المناسب لها.

ثم إنني وجدت الشيخ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) يلمح لمحة أخرى فيقول: (قوله تعالى: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠] وفي الأعراف: ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ [الأعراف: ١٦٠] مع أن المعنى واحد، فمعنى الانبجاس: الانفجار، يسأل عن وجه اختصاص كل من الموضعين بما ورد فيه.

والجواب والله أعلم أن الفعلين وإن اجتمعا في المعنى فليسا على حدّ سواء، بل الانبجاس: ابتداء الانفجار، والانفجار بعده غاية له، قال القرطبي: "الانبجاس: أول الانفجار"، وقال ابن عطية: "انبجست: انفجرت، لكنه أخف من الانفجار"، وإذا تفرّز هذا فأقول: إنّ الواقع في الأعراف طلبُ بنى إسرائيل من موسى - عليه السلام - السُّقيا، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ

قَوْمُهُ» [الأعراف: ١٦٠]، والوارد في سورة البقرة طلبُ موسى - عليه السلام - من رَبِّهِ، قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ [البقرة: ٦٠]، فَطَلَبَهُمْ ابتداءً، فَنَاسَبَهُ الْإِبْتِدَاءَ، وَطَلَبُ مُوسَى - عليه السلام - غايةً لطلبهم؛ لأنه واقعٌ بعده، وَمُرْتَبٌّ عَلَيْهِ، فَنَاسَبَ الْإِبْتِدَاءَ الْإِبْتِدَاءَ وَالْغَايَةَ الْغَايَةَ، فَقِيلَ جَوَابًا لطلبهم: ﴿فَأَنْبَجَسْتُ﴾، وَقِيلَ إِجَابَةً لطلبه: ﴿فَأَنْفَجَرْتُ﴾، وَتَنَاسَبَ ذَلِكَ وَجَاءَ عَلَى مَا يَجِبُ، وَلَمْ يَكُنْ لِنَاسَبِ الْعَكْسِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (١)

وربط البقاعي (ت ٨٨٥هـ) بين الانفجار والفِسْق (٢)، فقال: (وما أَنَسَبَ ذَكَرَ الْإِنْفِجَارِ هُنَا بَعْدَ خَتْمِ مَا قَبْلَ بِالْفِسْقِ (٢)؛ لِاجْتِمَاعِهَا فِي الْخُرُوجِ عَنْ مُحِيطٍ، هَذَا خُرُوجٌ يُجِيبِي وَذَلِكَ خُرُوجٌ يُمِيتُ). (٤)

ثم علل للتعبير بالانفجار في سورة البقرة، حيث قال تعالى: ﴿فَأَنْفَجَرْتُ﴾، وبالانبجاس في سورة الأعراف، حيث قال تعالى: ﴿فَأَنْبَجَسْتُ﴾، مراعيًا اختلاف السِّيَاقِ فِي كُلِّ، فَقَالَ: (وَلَأَنَّ هَذَا سِيَاقُ الْإِمْتِنَانِ عَبْرَ الْإِنْفِجَارِ الَّذِي يَدُورُ مَعْنَاهُ عَلَى: انشِقَاقٍ فِيهِ سَيْلَانٌ وَأَنْبِعَاثٌ مَعَ انْتِشَارٍ وَأَتْسَاعٍ وَكَثْرَةٍ، وَلِأَنَّ سِيَاقَ (الأعراف) لِلْإِمْتِنَانِ عَبْرَ الْإِنْبِجَاسِ الَّذِي يَدُورُ مَعْنَاهُ عَلَى: مُجَرَّدِ الظُّهُورِ وَالنُّبُوعِ). (٥)

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظ من أي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي ١ / ٤٠، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) قال ابن منظور: (والعَرَبُ تقول إذا خرجت الرُّطْبَةُ مِنْ قِشْرِهَا: قد فَسَقَتْ الرُّطْبَةُ مِنْ قِشْرِهَا، وَكَأَنَّ الْفَارَةَ إِذَا سُمِّيتْ فُويِسَقَةً لَخُرُوجِهَا مِنْ جُحْرِهَا عَلَى النَّاسِ). لسان العرب ١٠ / ٣٠٨ (ف س ق).

(٣) إشارة إلى ما خُتِمَتْ بِهِ الْآيَةُ رَقْمَ ٥٩ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي ١ / ٤٠٤، ٤٠٥، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٥) نظم الدرر ١ / ٤٠٥. ولعل البقاعي استفاد هذا المعنى من قول الكرماني (ت ٥٠٥هـ): (قَوْلُهُ: ﴿فَأَنْفَجَرْتُ﴾، وَفِي الْأَعْرَافِ: ﴿فَأَنْبَجَسْتُ﴾؛ لِأَنَّ الْإِنْفِجَارَ: أَنْصَابُ الْمَاءِ بِكَثْرَةٍ. وَالْإِنْبِجَاسُ: ظُهُورُ الْمَاءِ، وَكَانَ فِي هَذِهِ

فالبقاعي ينصّ على أنّ التعبير بقوله تعالى: ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ﴾ وَرَدَّ فِي مَعْرُضِ الْحَدِيثِ عَنْ امْتِنَانِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى قَوْمِ سَيِّدِنَا مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِكَيْفِيَةِ السُّقْيَا، وَذَلِكَ بَعْدَ الْحَدِيثِ عَنْ امْتِنَانِهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَيْهِمْ بِتَظْلِيلِ الْغَمَامِ عَلَيْهِمْ؛ لِيَقِيَهُمْ حَرَّ الشَّمْسِ، وَإِنْزَالِ الْمُنِّ وَالسَّلْوَى عَلَيْهِمْ، لَكِنِّهِمْ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَشْكُرُوا رَبَّهُمْ، فَلَمْ يَطِيعُوهُ (فَخَالَفُوا وَكَفَرُوا فَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، هَذَا مَعَ مَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالْمَعْجَزَاتِ الْقَاطِعَاتِ، وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ) (١)، وَكَانَ مِنْهُمْ أَنْ بَدَّلُوا أَمْرَ اللَّهِ لَهُمْ مِنَ الْخُضُوعِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، فَحِينَ أُمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا سُجَّدًا، دَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِمٍ مِنْ قِبَلِ أَسْتَاهِمٍ رَافِعِي رُؤُوسِهِمْ، وَحِينَ أُمِرُوا أَنْ يَقُولُوا: حِطَّةً، أَيْ: احْطُطْ عَنَّا ذُنُوبَنَا، اسْتَهْزَؤُوا، فَقَالُوا: حِطَّةٌ فِي شَعْرَةٍ. وَهَذَا فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَخَالَفَةِ وَالْمَعَانِدَةِ؛ وَهَذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ بِأَسْهٍ وَعَذَابَهُ بِفُسُقِهِمْ، وَهُوَ خُرُوجُهُمْ عَنْ طَاعَتِهِ؛ وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]. (٢)

ولمّا كان سياق سورة البقرة في معرض الامتنان - كما قال البقاعي - وجدنا أن الآية الكريمة التي تتضمن أمر بني إسرائيل بدخول القرية تنصّ على رَعْدِ الْعَيْشِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾، قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: (قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِي الرَّغْدِ لُغَتَانِ: رَغْدٌ وَرَعْدٌ... وَالرَّغْدُ: الْكَثِيرُ الْوَاسِعُ الَّذِي لَا يُعَيِّيكُ مِنْ مَالٍ أَوْ مَاءٍ أَوْ عَيْشٍ أَوْ كَالِ) (٣)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

السُّورَةُ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ فَذَكَرَ بَلْفَظٍ بَلِيغٍ. وَفِي الْأَعْرَافِ: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، وَلَيْسَ فِيهِ: وَاشْرَبُوا، فَلَمْ يُبَالِغْ فِيهِ). أَسْرَارُ التَّكْرَارِ فِي الْقُرْآنِ الْمُسَمَّى الْبِرْهَانِ فِي تَوْجِيهِ مِثْلَابَةِ الْقُرْآنِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْحِجَّةِ وَالْبَيَانِ، لِمَحْمُودِ بْنِ حَمْزَةَ الْكِرْمَانِيِّ، ص ٧٤، تَحْقِيقٌ: عَبْدِ الْقَادِرِ أَحْمَدَ عَطَا، النَّاشِرُ: دَارُ الْفَضِيلَةِ.

(١) تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر ١/ ٢٧٣.

(٢) ينظر: تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر ١/ ٢٧٣.

(٣) لسان العرب ٣/ ١٨٠، تاج العروس ٨/ ١٠٧ (رغ د).

﴿رَعَدًا﴾ نَعَتْ لمصدر محذوف، أي: أَكَلًا رَعَدًا. ويجوز أن يكون في مَوْضِعِ الحَالِ (١)، أي: كُتِلُوا طَيِّبِينَ مَهْتَبِينَ.

أما في سياق سورة الأعراف فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ...﴾ [الأعراف: ١٦١]، ولم يقل: (رَعَدًا).

وللخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ) تعليل بديع لمجيء كلمة (رَعَدًا) في سياق سورة البقرة، وعدم مجيئها في سياق سورة الأعراف، فقال: (لأنه لما أَسَنَّ الفعلَ إلى نفسه تعالى (٢) كان اللفظُ بالأشرف الأكرم، فذكر معه الإنعام الأجسم، وهو أن يأكلوا رَعَدًا، ولما لم يُسند الفعلَ في سورة الأعراف إلى نفسه (٢) لم يكن مثلَ الفعلِ الذي في سورة البقرة، فلم يذكر معه ما ذكر فيها من الإكرام الأوفر، وإذا تَقَدَّمَ اسْمُ المنعمِ الكريم اقتضى ذِكْرَ نعمته الكريمة). (٤)

وعلى العموم فآية سورة البقرة جاءت في سياق الامتنان، حيث ائْتَنَّ اللهُ - عز وجل - على بني إسرائيل بعدد من النعم التي أنعم عليهم بها، وسياق الحديث عن النعم يبدأ بقول الله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، ثم يعود السياق القرآني بعد ذلك بقليل إلى التذكير بالنعم، وسرد بعضها، فيقول تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، قال أبو حيان: (وأعيد نداؤهم ثانيًا على طريق التوكيد، ولينبهوا السماع ما يرد عليهم من تعداد النعم التي

(١) الجامع لأحكام القرآن ١ / ٤١٠. وينظر: الدر المنصون ١ / ٢٨١، اللباب ١ / ٥٥٢.

(٢) أي في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَعَدًا﴾ [البقرة: ٥٨].

(٣) أي في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٦١].

(٤) درة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الإسكافي ١ / ٢٣٧، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين،

ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية. وينظر: أسرار

التكرار في القرآن، ص ٧٣.

أنعم الله بها عليهم، وتفصيلها نِعْمَةٌ نِعْمَةٌ، فالنداء الأول للتنبيه على طاعة المنعم، والنداء الثاني للتنبيه على شكر النعم. (١).

ونعم الله على بني إسرائيل كثيرة، ذكرت آيات سورة البقرة بعضها، حيث تحدثت الآيات أن الله - عز وجل - فضّلهم على العالمين، واستنقذهم من فرعون وقومه، وخلّصهم من العبودية وأولادهم من القتل ونساءهم من الاستحياء، ثم امتنّ الله على بني إسرائيل بنعمة فرّق البحر بهم، وإنجّاهم من الغرق، ومن أعدائهم، وإهلاك أعدائهم بالغرق، وأن ذلك وقع وهم يعاينونه ويشاهدونه، فلم يصل ذلك إليهم بتقليل، بل بالمشاهدة التي توجب العلم الضروري، وأنزل عليهم الكتّاب المعظمة، ثم الأخبار بحصول توبة الله عليهم، وأن ذلك كان بسابق رحمته، ثم الإنعام عليهم بالبعث، وهو من الخوارق العظيمة أن يحيى الإنسان في الدنيا بعد أن مات، ثم إسعافهم بما سألوه، إذ وقعوا في التيه، واحتاجوا إلى ما يزيل ضررهم وحاجتهم من لفتح الشمس، وتغذية أجسادهم بما يصلح لها، فظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، وأباح لهم دخول البلدة وأزال عنهم التيه، وأعطاهم الحجر ليسيقيهم ما شاءوا من الماء متى أرادوا، وهذه النعم، وإن كانت على آباءهم، فهي - أيضا - نعم عليهم؛ لأن هذه النعم حصل بها النسل، ولأن الانتساب إلى آباء شرفوا بنعم تعظيم في حق الأولاد. (٢)

وذكر السيوطي (ت ٩١١هـ) العلة نفسها، فقال: (في البقرة: ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ﴾ وفي الأعراف ﴿فَأَنْبَجَسْتُمْ﴾ لِأَنَّ الْإِنْفَجَارَ أْبْلَغُ فِي كَثْرَةِ الْمَاءِ فَتَأْسَبُ سِيَّاقُ ذِكْرِ النَّعْمِ التَّعْبِيرُ بِهِ. (٣) وقال صاحب (حدائق الروح والريحان) عند حديثه عن بيان معنى قوله تعالى: ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ﴾: (عبر بدل ما هنا في الأعراف بقوله: ﴿فَأَنْبَجَسْتُمْ﴾، والأول أبلغ؛ لأنه: أنصباب الماء بكثرة،

(١) البحر المحيط ١ / ٣٠٥.

(٢) ينظر: البحر المحيط ١ / ٢٨٢، ٣١٥، ٣٢٠، ٣٤٩، الباب ٢ / ٨، ٦٥.

(٣) الإتيقان في علوم القرآن، للسيوطي ٣ / ٣٩٣، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

والأنبجاس: ظهور الماء، فناسب ذكر الأنفجار هنا، الجمع قبله بين الأكل، والشرب، الذي هو أبلغ من الاقتصار على أحدهما). (١)

ولعل المؤلف يقصد أن قوله تعالى: ﴿فَانفَجَرْتُمْ﴾ مسبوق بالحديث عن نعمة الأكل المذكورة قبل الحديث عن نعمة السقيا، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ . وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فكلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾. [البقرة: ٥٧، ٥٨]، فتعدد النعم دليل على كثرتها، وهذا اقتضي التنويه بها، فكان التعبير بقوله تعالى: ﴿فَانفَجَرْتُمْ﴾.

أما سياق سورة الأعراف فذكرت نعمة السقيا أولاً، ثم جاء عقيبها الحديث عن نعمة الأكل، قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَا لَهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيطًا ثُمَّ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ . وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾. [الأعراف: ١٦٠، ١٦١]

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن، للشيخ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي ١ / ٤٣٠، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.

الخاتمة

بعد هذه الوقفة مع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم من خلال لفظتين متقاربتين دلاليًا يمكننا أن نصل عدّة نتائج، منها:

- إنَّ قراءة القرآن الكريم بتدبُّر، وإمعانَ النظر فيه أفضي إلى نتيجة مفادها: أنه لا توجد في القرآن الكريم لفظة يمكن أن نقول إن غيرها أوّلى منها، أو أنها لا داعي لها في مكانها، بله القول بالاستغناء عن حرف واحد منه، وإن ميدان المتشابه اللفظي في القرآن الكريم لخير دليل على صدق ما نقول، فبالرغم من اتحاد الموضوع، وتقارب اللفظتين دلاليًا، فإننا نجد أن كل لفظة جاءت مناسبة لسياقها الذي وَرَدَتْ فيه، ولا تَصْلح إحداها مكان الأخرى.
- القول بالترادف بين اللفظين (انفجر / انبجس) قولٌ غيرٌ سديد، فكلُّ لفظٍ منها يعطي معنى يتناسب مع السياق الذي وَرَدَ فيه.
- ذهب كثير من العلماء إلى القول بوجود فرق بين اللفظين، وكانوا موفِّقين في التعبير عن هذا الفرق، منهم: الإمام القرطبي حينما قال: (والانْبِجاسُ أَضْيَقُ مِنَ الانْفِجَارِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ انْبِجاسًا ثُمَّ يَصِيرُ انْفِجَارًا).
- اجتهد كثير من العلماء في بيان الحكمة من مجيء كل لفظة من اللفظتين (فانفجرت / فانبجست) في سياقها الذي وردت فيه، من هؤلاء: ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، والبقاعي (ت ٨٨٥هـ)، والسيوطي (ت ٩١١هـ)، ومحمد الأمين بن عبد الله الأرمي.

فهرس المصادر والمراجع

- أساس البلاغة، للزمخشري، ط ٣، ١٩٨٥م - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، لمحمود بن حمزة الكرمانى، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الناشر: دار الفضيلة.
- الأفعال، لابن القطاع، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عالم الكتب.
- الألفاظ، لابن السكيت، تحقيق/ د. فخر الدين قباوة، ط ١، ١٩٩٠م، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان.
- البحر المحيط، لأبي حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- تاج العروس، من جواهر القاموس، للزبيدي، تحقيق/ عبد الستار أحمد فراج، وآخرين، ط ١، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، الكويت.
- التفسير البسيط، للواحدى، تحقيق د. محمد بن إبراهيم الفايذ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية ١٤٣٠هـ.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للشيخ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، دار الكتب المصرية.
- جمهرة اللغة، لابن دريد، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، ط ١، ١٩٨٧م، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت.
- الجيم، لأبي عمرو الشيباني، تحقيق: إبراهيم الإياري، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- درة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الإسكافي، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى أيدين، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
- ديوان أبي محجّن الثَّقَفِيّ، مطبعة الأزهار البارونية، مصر.
- ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، تحقيق/ د. عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥هـ.
- شرح أشعار الهدليين، للسكري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة المدني، القاهرة.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان الحميري، تحقيق: د/ حسين بن عبد الله العمري، وآخرين، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الناشر: دار الكتب العلمية.

- العين، للخليل بن أحمد، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٨٨ م، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.
- الغريبين في القرآن والحديث، لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية.
- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة، القاهرة.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان وآخرين، ط ١، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، الناشر: دار التفسير، جدة، المملكة العربية السعودية.
- اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- لسان العرب، لابن منظور، ط ٣، ١٤١٤ هـ، دار صادر، بيروت.
- المحرر الوجيز، لابن عطية، تحقيق / عبد السلام عبد الشافي محمد، ط ١، ١٤٢٢ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق / د. عبد الحميد هنداوي، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، وآخرين، ط ٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن جبل، ط ١، ٢٠١٠ م، مكتبة الآداب، القاهرة.

- المعجم المفصل في شواهد العربية، د. إميل يعقوب، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للرازي، ط ٣، ١٤٢٠هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط ١، ١٤١٢هـ، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت.
- مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، الناشر: دار الفكر.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

